Received: 21/11/2023 Accepted: 7/1/2024 Published:10/1/2024

التصوير الفني الساخر في شعر ابن الرقعمق الأنطاكي (المتوفى 399هجرية)

أ.م.د. خلود هاشم جوحي سعدالله الوائلي

dr.khuloodalwaily@gmail.com

وزارة التربية – مديرية التربية بغداد الكرخ الثانية / معهد الفنون الجميلة للبنات

الملخص

تُحاول الباحثة في هذا البحث دراسة ظاهرة شعرية ظهرت بواطنها ، وتبينت معانيها عند الشاعر العباسي ، وإن كانت معروفة سابقاً ؛ لأنّها ترتبط بالهجاء ؛ لكنها تختلف عنه بعض الشيء، وإن تشابكت معه وتداخلت معانيها ، وقد يصعب أحياناً الفصل بينهما ؛ إلا أنَّ الهدف من الهجاء إصلاح المعايب وتقويمها ؛ أما السخرية فهي فن قُصِدَ بها الهُزء والهزل بشيءٍ ما لا يتواءم مع القناعة العقلية ، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عُرف الفرد والمجتمع ، والهدف منها هو التندر والهزل والإضحاك ، وبهذا تختلف نظرة الساخر إلى الموضوع عن نظرة الهجّاء ، إذ أنَّ الساخر يُخفي انفعاله خلف ضحكة صفراوية تحمل مدلولات باطنية ، على حين أنَّ الهجّاء يُواجه الموقف جاداً ، فتظهر عليه لغة سيميائية معبرة عن الغضب والانفعال، وبهذا انمازت هذه الظاهرة وشاعت وظهرت بوادرها في شعر كثير من شعراء هذا العصر؛ وبشكل واضح ومكثر في شعر الشاعر ابن الرقعمق حتى أصبح رائداً في هذه الظاهرة، ولم يكن هذا من فراغ ؛ بل جاء بفعل تغيرات سوسيولوجية كبيرة وواضحة ، يُعبر فيها الشاعر عن همومه ومشاكله متخذاً منها ذريعة أو وسيلة من وسائل التعبير والنقد ، متعمداً فيها إلى كشف كثير من المشكلات والعيوب بأساليب متنوعة، وصور فنية وبلاغية مضحكة ، حتّى عدَّ كثير من النقاد شعر ابن الرقعمق بأنّهُ رأس الحماقة والاستهزاء بمصر في القرن الرابع الهجري (334–447 هـ) (القرن العاشر الميلادي) ، وهو مؤسسه وحامل لوائه بمصر.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الهجاء، التصوير

Satirical Artistic Photography in the Poetry of Ibn Alruqaemaq Al'antakii (passed away 399Hjria)

Asst. Prof. Khulood Hashim AL-Waily (Ph.D.)

dr.khuloodalwaily@gmail.com

Ministry of Education - Directorate of Education, Baghdad Al-Karkh II
Female Institute of Fine Arts

Abstract

In this research, the researcher attempts to study the poetic phenomenon that appeared internally, and whose meanings became clear to the Abbasid poet, even if it was previously known. Because it is related to satire but it differs somewhat from it, even if it is intertwined with it and its meanings overlapped, and it may sometimes be difficult to separate them. However, the aim of satire is to correct the defects, as for sarcasm, it is an art that is intended to mock and ridicule something that is not compatible with rational contentment, and is not consistent with the regular concepts of the individual and society custom. The aim of it is to make jokes and laughs. Thus, the satirist's view of the subject differs from that of satire, as the satirist hides his emotion behind a dahkah safrawia that carries esoteric connotations, while satire confronts the situation seriously, it appears in a semiotic language expressing anger and emotion. Thus, this phenomenon became distinct and widespread, and its signs appeared in the poetry of many poets of this era, it was clearly and abundantly in the poetry of the poet Ibn Alruqaemaq until he became a pioneer in this phenomenon, and this was not in vain; Rather, it

came as a result of major and clear sociological change, in it, the poet expresses his concerns and problems, using them as a pretext or a means of expression and criticism, intending to reveal many problems and defects in various ways, and in funny artistic and rhetorical images, to the point that many critics considered Ibn Alruqaemaq's poetry to be the head of foolishness and mockery of Egypt in the fourth century (334 AH-447 AH) (tenth century), and he was its founder and standard-bearer in Egypt.

Keyword : irony, satire, imaging

المحور الأول: الشاعر ومفهوم السخرية

أولاً: التعريف بشخصية الشاعر

أحمد بن محمد الأنطاكي، ويكنى بأبي حامد (ابن خلكان، 1994) ، وقد ولد في أنطاكية * (الحموي، 2008) ، ولم تدوّن كتب الأدب والسير التأريخية التي ذكرها جامع الديوان عن سيرة الشاعر إلا تقديماً يسيراً ، ولا يُعرف شيئاً مفصلاً عن مراحل حياته الأولى فيما يخصُّ ولادته ، ونشأته وكيف قضاها ؛ سوى أنهُ وفد على مصر في أوائل حكم الفاطميين سنة(358) ، وقد نقل ابن خلكان نصاً عنه أشار فيه إلى أنَّ أبا الرقعمق وفد على مصر زمن كافور الأخشيدي قائلاً : (قال أبو الرقعمق : كان لي اخوان أربعة ، وكنتُ أُنادمهم في أيام الأستاذ كافور، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليس لي كسوة تحصنني من البرد، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ، ويقولون : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا ارخاة سمينة فاشتهِ ما يعمل لك منها ، فكتبتُ إليهم :

أحبابنـــا عزمـــوا الصّـــبوحَ بِســـحرةٍ فـــأتى رســـولهم إلـــيَّ خصوصـــا
قـــالوا: اقتـــرحْ لونـــاً يُجـــادُ طبيخـــهُ قلـــتُ: اطبخُـــوا لـــي جبـــةً وقميصـــا

فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرتُ حتى عاد ومعهُ أربع خِلع ، وأربع صُرر في كلِّ صُرّةٍ عشرة دنانير، فلبستُ إحدى الخلع، وصِرتُ إليهم) (ابن خلكان، 1994، الصفحات 455–456) ،غير أنّهُ لا يمكن الوثوق بهذه الرواية ، فقد زعم جامع شعره إلى لسببين هما : إنَّ البيتين مضطربا النسبة لابي الرقعمق ؛ بل نُسبا إلى شاعر آخر اسمهُ جحظة البرمكي (ابن خلكان، 1994) ، وهما مثبتان في ديوانه (ابن خلكان، 1994، صفحة 229/2)، في حين يرى الثعالبي على الرغم من عهده القريب من عمر الشاعر ، ومن عنايته بإيراد نصوص من شعره فقد تماهى في نسبة البيتين إليه ، فمرةً نسبهما إلى الشاعر جحظة ، ومرة إلى ابي الرقعمق (الثعالبي، 1983، صفحة 379/1) ، فضلاً عن ذلك أنَّ مصر قبل وفود الفاطميين عليها كانت تعيش وضعاً مأساوياً بسبب ضيق أحوالها الاقتصادية ، فلا يمكن تصور هذه الرواية بعطاء كافور الاخشيدي المتضمن أربع خلع وأربع صرر في كلِّ صُرّة عشرة دنانير، وكذلك لم يجد القارئ في شعر ابن الرقعمق ذكراً لاسماء ممدوحين حكموا مصر قبل مجيء الفاطميين بإعطاء هذا الجزاء المال والخلع (الأنطاكي، 2021)، وبهذا يُرجح جامع شعر ابن الرقعمق أنَّهُ شدَّ رحاله إلى مصر لسماعه بثراء الفاطميين ، وحسن أحوال الرعية في عصرهم (الأنطاكي، 2021، صفحة 15) هذا ما أكدته مدائحه في خلفاء هذه الدولة وأعيانها الذين عاصرهم ، فحظي بعطاياهم وجوائزهم .

لقبه:

لم تذكر كتب الأدب وسير الأعلام سبب لقب الشاعر ابي حامد الأنطاكي بلقب (ابي الرقعمق) ، ولم تفيد المعجمات اللغوية في بيان معنى ذلك ؛ لكن محقق شعره وجامعه يجد أنهُ نحت (السيوطي، 1998) لصفتين عُرِف بهما الشاعر وهما (الأحمق ، والرقيع) بسبب اتخاذه طريقاً خالف فيه شعراء عصره ، فضلاً عن حياة اللهو والعبث وتدني قيمته إلى أدنى مرتبة (الأنطاكي، 2021) الأمر الذي جعلهُ محل استهزاء .

مذهبه :

على الرغم من اعتناق الدولة الفاطمية للمذهب الشيعي الإسماعيلي (ضيف، 1990) ، وقدوم الشاعر إلى مصر في أوائل حكمها سنة 358هجرية ومدح شخصياتها، فلا يمكن القطع بعدم تشيع الشاعر، فقد شغلته أمور الدنيا عن الالتزام الديني فراح يأخذ من لهوها وعبثها ومعاقرة الخمرة بعيداً عن التمسك بمذهب معين ؛ لكن مجاورته لحكّام الفاطميين جعلتهُ مسايراً لمعتقداتهم ، مما جعلهُ متأثراً بهذه العقائد (ضيف، 1990) ، كقوله في مدح المعز لدين الله الفاطمي (المقريزي، 1967) (الأنطاكي، 2021، صفحة 68):

والـــــــــذي نطـــــــــقَ النبيـــــــــ ... يُ بِفَضـــــــــــلِهِ يَـــــــــومَ الغَـــــــــديرِ
لا مـــــــا للإمـــــــامِ ابـــــــي عليْـــــــ ... ـــــــي فـــــــي البريـــــــةِ مِـــــــنْ نَظيـــــــرِ

آراء النقاد في شعره :

أشاد كلٌ من ترجم لابن الرقعمق بشعره وبفنه الأدبي الساخر، بأنّهُ (نادرة الزمان ، وجملة الإحسان، وممن تصرف بالشعر الجزل في أنواع الجدِّ والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق) (الثعالبي، 1983، صفحة 379/1)، وقال آخر :(كان أبو حامد الأنطاكي حسن الشعر في الجدِّ والهزل، وسافر إلى الديار المصرية ، ومدح بها الحاكم الفاطمي) (ابن العديم، 1996، صفحة 16)، وقال عنه الصنعاني: (من أعيان شعراء زمانه، ظريف الشعر، كثير المجون والهجو ، مدح ملوك مصر ورؤساءها ، فمدح المعز، والعزيز، والحاكم، والوزير والحاكم، والوزير ابن كلس....) (الذهبي، 2005، صفحة 200/9)، وهو(صاحب الهزليات الغريبة، والشواهد الربيبة، فاضل يروق وينسجم فيريك الروض والماء، وتجلو عقوده الجوهرية ، فما الشادن إلا لمى معانيه أدقّ من خصر المحبوب، ولولا محبة خلودها غنّينا بها عن المدام المشروب) (الصنعاني، 1999، صفحة 149/1) ووسط هذه النصوص يظهر إعجاب النُّقاد بشعر ابن الرقعمق الذي جمع بين الفن الشعري الجاد في كثير من مدائحه، والفن الشعري الساخر في العبث واللهو المنحدر إلى أدنى المراتب، فعكس فيهما أجمل اللغة الشعرية المتمثلة في الألفاظ والموسيقى والصورة .

مؤلفاته :

بعد هذه الحياة المرة التي قضاها الشاعر بين الموقف الواعي منها والساخر بكل ما حوله استطاع أن يترك بعض المؤلفات وهو كتاب (رستاق الاتفاق) ويبدو أنّ مضمون الكتاب يدلل على مجونه وعبثه ، وهذا ما أدلى به ابن الجوزي في قوله: (وأما صاحب كتاب ((رستاق الاتفاق)) وهو شاعر المصريين ، فلعمر الله ، لقد أفسدْتَ إذ أسندْتَ ، فأنّهُ الفاسق الماجن المسمّى أبا الرقعمق ، ولكن لا ينكر هذا المتن بهذا الاسناد فإنّهُ لا يليق إلا بهِ) (الجوزي، 1983، صفحة 128)، وأيضا ترك الشاعر جمع غير قليل من الشعر تنوع ما بين قصائد ومقطوعات ونتف ، على الرغم مما سجّل فيه من المديح والشكوى والوصف والفخر والسخرية والحمق ،إلا أنّهُ استطاع أن يترك عليه بصمة أحداث ذلك الواقع .

وفاته:

واضح عبر الاطلاع لحياة الشاعر ابن الرقعمق أنّهُ (أقام في مصر زماناً طويلاً [وقد] تُوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وزاد غيره في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان ، وقيل : في شهر ربيع الآخر) (ابن خلكان، 1994، صفحة 132/1) (ابن العديم، 1996، صفحة 1111/3).

ثانياً: مفهوم السخرية وحدوده .

يعدُّ مفهوم السخرية أسلوباً متميزاً في مضامينه المتعددة ، وهو قادر على التأثير والاستجابة عبر بثِّ مشاعر رافضة وغاضبة وصار مصطلحاً مألوفاً وشائعاً تتماز به أعمال الشعراء والكُتاب ، وقد يُسأل عن أسباب إثارة التعبير الساخر ، ولا يُسأل عن التعبير الجاد المباشر، والهدف من السخرية هو نقد أوضاع الحياة ، أو تغيير بعض ظواهرها، وهذا يتطلب التغيير أو التطوير الذي يبدأ بتشخيص الحال ، ومعالجة الخلل فيها ، وقد لا يكتفي التعبير الساخر بالنظر إلى الأمور بطريقة سطحية وواضحة ؛ بل قد تكون رموزاً تتعلق بفكر الإنسان ، وبنظام العالم فتصبح مفهوماً عميقاً ، يعتمد أسالبياً بارعة تستنهض عقول الناس ، وتدغدغ مشاعرهم بصورة أخرى ، وقد تلهو بطبيعتهم ، فتصبح سلاحاً ذو حدّين تزيد من قوة تأثيرها وسطوتها فتتطلب إلى مهارة وذكاء وموهبة ؛ لأنها من الفنون الأدبية التي تعبر عن شجاعة تصل بالشاعر إلى أن يجرب سخريته وحماقته على نفسه ، ويضعها الناقد محمد مفتاح في درجة بعد الاحتقار والاستصغار والاستهزاء) (مفتاح، 1997) فالسخرية تُعرّف بلاغياً بأنّها:(طريقة في الكلام يُعبر بها الشخص عن عكس ما يقصد بالفعل كقولك للبخيل ما أكرمك، ويقال هي التعبير عن تحسّر الشخص على نفسه كقول البائس ما أسعدني) (مجدي و المهندس، 1979، صفحة 112)، أو هي (الهزء بشيء ما ، ينسجم مع القناعة العقلية ، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عُرف الفرد والجماعة) (عكاوي، 1994، صفحة 24) .

ثالثاً : أسباب لجوء الشاعر ابن الرقعمق إلى السخرية.

يقترب الأدب الساخر من الأدب الرمزي الذي يخفي الحقائق والغضب والضيق ، ويلبس المعاني لُبُوساً غامضاً قابلاً للتأويل ، وهذا الفن يوظف ألفاظاً واسعة الدلالة ، وقابلة للأخذ والرد ، وقد يلجأ الأدباء إلى هذا الفن نتيجة لعوامل متنوعة كالخوف من السلطة الحاكمة فيكون التلميح أفضل من التصريح ، وقد يكون الأديب غير قادراً على إظهار غضبه ، فتصبح السخرية ملاذاً نفسياً يحقق انفعال الأديب ويستوعب حدة غضبه وثورته ، وقد تكون السخرية بدافع الزهو والشعور بالتفوق العقلي فينزع الأديب إلى السخرية والغموض معاً ، ولعل الازدواج الكامن في الذات الإنسانية والازدواج بين الفكر والعمل وبين الواقع والمثال وبين العقل والعاطفة أقوى باعثاً على وجود السخرية ، فالساخر متمرد لا يقبل بالواقع ؛ بل يطمح إلى عالم مثالي ، ولهذا يكون قوي الملاحظة لنقد المجتمع ، وثمة هناك عامل تظهر فيها السخرية وتنشط وهي قيام الحروب واستمرارها وما ينتج عنها من تدمير وخراب ، وهذا ما أدى أن يصل حكم الدول إلى عصور التخلف والانحطاط والتراجع ، مما ساعد على ظهور الأصوات الساخرة التي تحمل معاني الرفض والتصحيح) (عكاوي، 1994، صفحة 24) .، والصلة وثيقة بين فن السخرية والمجتمع ، ولولا تطور الحياة وتغيرها لما استوجب ظهور هذا الفن على أرض الواقع ، أما دورها في حياة الأفراد فيأتي منسجماً مع الغاية الجماعية المراد تحقيقها ، فعندما يعبر الساخر عن رأي المجتمع في الخارجين على السلوكيات والأخلاق التي أقرّها تكون بهذا إطاراً واسعاً لكل التناقضات يُستقرئ عبرها أحوال المجتمع وأحداثه وما فيه من عيوب ذاتية واجتماعية ، وفي حالة أخرى تصبح السخرية رادعاً قوياً عندما لا يكون هناك قانون يوجب العقاب المادي على الانحرافات والأخطاء ، وتعتمد السخرية في صياغتها على الملاحظة الخارجية التي تأتي عبر مراقبة الساخر لأحوال الناس (عيسى، 2003) (أدونيس، 1977، صفحة 112) ، وقد تمنح الشاعر وش عره صوتاً جامحاً ؛ لأنَّ تغيرات المجتمع وتناقضاته هي التي ولدت هذا الفن وأظهرتهُ.

المحور الثاني : التصوير الفني الساخر في نصوص ابن الرقعمق الشعرية.

إنَّ القارئ لشعر ابن الرقعمق منذ أول لحظة يجد الشكوى الدائمة من جور الزمن ومن سوء الحظ إذ حكم عليه بالفقر والفاقة وشظف العيش الأمر الذي جعلهُ يرزح تحت أثقال هذا الفقر، مما جعلهُ يتخذ الشعر وسيلة للرزق والشهرة والرغبة في منافسة شعراء زمانه، ولاسيّما أنَّهُ لا يصل إلى فحولتهم الشعرية، فأنفق شعرهُ في السخرية التي وصلت إلى مرتبة الحمق ** (ابن منظور، 1996) مكتفياً بالنظر إلى الأمور بطريقة واضحة وسطحية ومعتمداً أسالِيباً بارعة يستنهض فيها عقول الناس، ويدغدغ مشاعرهم، ويلهو بطبيعتهم بشكلٍ وصل إلى أن يُجرّب سخريته وحماقته على نفسه ، كقوله : (الأنطاكي، 2021، صفحة 73):

وفـــــي الآفـــــاقِ أقـــــوامٌ	يَميلـــــونَ إلـــــى شِـــــعري
ونُبِّئـــــتُ بِـــــأنَّ القـــــو	مَ لا يخلُـــــونَ مِـــــنْ ذِكـــــري
فَفـــــيمَ التَّـــــركَ للسَّـــــيرِ؟	وَهَـــــلْ فـــــي ذاكَ مِـــــنْ عُـــــذْرِ
وقَـــــدْ قَـــــدَّمتُ أثقـــــالي	وَسَـــــيري غُـــــرَّةَ الشَّـــــهرِ
فأمـــــا أكْثـــــرُ الحُمـــــقِ	فَقَـــــد سَـــــيَّرتُ فـــــي البحـــــرِ
وباقيـــــهِ معـــــي يَذهـــــبُ فـــــي البَـــــرِ علـــــى ظهـــــري	
ولا أتـــــرِكُ فـــــي مِصْـــــرَ	لِـــــذكرِ الحُمـــــقِ مِـــــنْ أثَـــــرِ
فَمَـــــنْ بعـــــدي لِيطبيـــــ	ـــــهِ فـــــي الـــــنَّظمِ وفـــــي النَّثْـــــرِ
ومِـــــنْ يلْعَـــــبُ فـــــي الـــــرَّأسِ	مِـــــنَ العَصْـــــرِ إلـــــى العصْـــــرِ

فقد رسم الشاعر لحالة كسادهِ وفقره المدقع صورة ساخرة تزدريها الشكوى والحماقة ولاسيّما هما الطابعان اللذين يزينان صورته فعرفتهُ الأقوام بهما، فيميلون إلى شعره ولا يخلون من ذكره، فلماذا يترك هذا النهج في شعره ؟ فهل هناك من عُذر؟ وقد أصبحت حماقته من نفسه علامة في شعره، فلذلك يدعو الشاعر نفسه أن يلهج بشعره الساخر في حلّه وترحاله براً وبحراً ، ويجعل لهذا الشعر أثراً مميزاً في مصر يعرفهُ به القاصي والداني ، ومتحدياً بذلك كلّ من يأتي بعده أنْ يأتي بمثله سواء نظماً أم نثراً ، ويكون مجالاً للأضحوكة والفكاهة من العصر إلى العصر .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن الرقعمق قد بالغ في السخرية إلى درجة الحماقة في شعره الأمر الذي وصل فيه إلى درجة السخف الذي تطيب معهُ لذّة العيش، ومن قوله : (الأنطاكي، 2021، صفحة 57):

ناشـــدتُكَ اللهَ فيمـــا قـــدْ أشَـــرْتُ بِـــهِ ... إلا قَبِلْـــــتَ ولا تهمـــــلْ مُناشـــــدتي
واســـتعملِ السُّـــخفَ واتـــركْ مـــا سِـــواهُ فمـــا ... لـــــذاذةُ العَـــــيشِ إلا فـــــي المُســـــاخفةِ
والصَّـــــفعُ إيـــــاكَ مِنْـــــهُ فـــــالعمى أبـــــداً ... بِغيـــــرِ شَـــــكٍ مَنـــــوطٌ بالمُصـــــافعةِ

فالشاعر يرسم صورة مضحكة ومثيرة للسخف وخفة العقل يدعو بها كل من يناشدهُ شعراً أن يتحلى بالمساخفة في الأقوال والأفعال، ويترك الجدية في الأمور فما لذة العيش إلا فيها، وهذه السخرية والحماقة بغير شك ستكون مصحوبة بالصفع، وعندها سيكون حتماً العمى أو التجاهل عنها مقترن بها ، وقد لا يأبه الشاعر أن يسخر ويتحامق ليس من منظره وملبسه بل من أعضاء جسمه وهيئته ، كقوله : (الأنطاكي، 2021، صفحة 59):

لـــــو برجلـــــي مـــــا بِرَأســـــي ... لَـــــم أبُـــــتْ إلاّ بِنَجـــــدِ
خِفَّـــــةً لَيْسَـــــتْ لِغَيـــــري ... لا أرانِـــــي اللهُ فَقْـــــدي
ومُحـــــالٌ أنْ يَـــــرى مِثْـــــ ... ـــــلِيَ أو يُبْصِـــــرَ بَعـــــدِي
رَجـــــلٌ لا يضـــــرِطُ الضَّـــــرْ ... طَـــــةَ إلا بعـــــدَ جُهْـــــدِ
فَلِـــــذا الأمـــــرُ تَـــــراهُ ... يَأكُـــــلُ التَّمـــــرَ بِزُبْـــــدِ

فقد تلاعب الشاعر بأعضاء شكله بصورة كاريكاتيرية مضحكة ، متمنياً أنَّ فكره لو كان في رجله، لما كان موجوداً في مصر؛ بل يبيتُ مسرعاً في نجد، ولعل الشاعر أراد أن يرسم بذلك مفارقة تصويرية مضحكة تدلل على اشتياقه إلى نجد الأمان والسلام والكرم؛ لكن الشاعر لا يملك ما يعينه على الوصول إليها ، ثُم يردف ابن الرقعمق هذه المفارقة الساخرة بصورة مزرية أخرى يشكو بها فقره وقلة حيلته يُشبه بها نفسه بطريقة حمقاء رثّة بأنّهُ رجلٌ لا يضرط الضرطة إلا بعد جهدٍ وعناء ، وهو لا يملك إلا أكل التمر مع الزبد ، فأراد أن يعكس في صورته هذه حالة الفقر المدقع التي وصل إليها متمنياً أن يهجر مصر ؛ لأنّهُ لم يجد فيها الخير ، ويذهب إلى نجد ؛ ليجد فيها الخير والعطاء . وبهذا بالغ الشاعر في وصف فقره وفاقته، وشكوى حاله حتى أصبح الأمر عنده منقلباً إلى أضحوكة وسخرية، كقوله: (الأنطاكي، 2021، صفحة 44):

"عَجَـــبٌ مـــا مثلُـــهُ عَجَـــبٌ ... فَعَلـــوا بِـــي غَيْـــرَ مـــا يَجِـــبُ
قَرْقَـــرَتْ بَطنـــي فـــوا حَزَنِـــي ... ذُقْـــنُ مَـــنْ بالسَّـــلحِ يَخْتَضِـــبُ
هَرَبَـــاً مِـــنْ شَـــرِّها هَرَبـــا ... فَعَسَـــى أنْ يَنْفَـــعَ الهَـــرَبُ
ذَهَـــبَ النَّـــاسُ فمـــا أحـــدٌ ... يَشـــتهي أنْ تُـــنفَخَ القِـــرَبُ"

ويسخر ابن الرقعمق من جوعه وعدم شبعه في صورة مضحكة ساخرة أخرى يحكي فيها قرقرة بطنه من الجوع ؛ بينما يرى وحداً من الناس ذقنه مخضباً بألوان الطعام، فما يرى ابن الرقعمق إلا هجوم الناس عليه وضربه على غير ما يوجب إليه الأمر، فيولي وجهه هرباً، ولكن لا ينفع معهم الهرب . ويبدو عبر قراءة ابن الرقعمق أنَّهُ عانى ما عانى من مجتمعه بسبب فقره، وما ليقهُ منهم فالعبث والصفع يرافقانه أينما وجد، كقوله (الأنطاكي، 2021، صفحة 60) :

(ثُـــم لا أملـــكُ شـــيئاً ... غيـــرَ سَـــتْرٍ وخُلْـــدِ
وحماقـــاتٍ وعُمْـــري ... إنَّ لـــي رأســـاً مَزَنْـــدي
أصْـــيرُ الأرؤسَ فـــي صَفْـــ ... ـــعٍ بـــلا حَـــرزٍ وَعَـــدِّ)

وقوله أيضاً (الأنطاكي، 2021، صفحة 104):

قَـــد أجمـــعَ النَّـــاسُ أنَّ حُمقِـــي ... أحْسَـــنُ مِـــنْ عِفّتـــي ودِينـــي
قَـــد عِشـــتُ دهـــراً أعـــولُ عَقْلـــي ... والنَّـــاسُ إذْ ذاكَ يُبْعِـــدُوني
فَمُـــذْ تَحامقْـــتُ قـــد كَسَـــاني ... حُمْقِـــي وَقَـــد عـــالَني جُنُـــوني

وبهذا يجد ابن الرقعمق أن الإشهار بالحماقة أصبحت هي بضاعته المعروفة بين الناس، وبأنّها أحسن وأنفع من العفة والدين؛ لأنّهُ عاش دهراً ملتزماً بهما فلم يُعرَف؛ لكنه عندما كست الحماقة شخصيته عندها أصبح معروفاً ومشهوراً بين الناس، ففي تصويرهُ الفني الساخر هذا يفتخر بخفته وحماقته والاستهانة بنفسه، والتقليل من شأنه . وكما في قوله أيضاً (الأنطاكي، 2021، صفحة 101):

لَحـــــاهُ اللهُ مِـــــنْ شَـــــيخٍ ضَـــــروطِ ... ضَـــــجيجُ ضِـــــراطِهِ بـــــالنَّهروانِ
ولكـــــنْ رأسَـــــهُ جَلْـــــدٌ جَليـــــدٌ ... صَـــــبُورٌ عِنـــــدَ مُختَلَـــــفِ الطِّعـــــانِ
وَلَـــــم أَرَ قَبْلَـــــهُ رأسَـــــاً سِـــــواهُ ... غَـــــدا وقفـــــاً علـــــى حَـــــربٍ عَـــــوانِ
ولاســـــيْما أذا الأيـــــدي توالَـــــتْ ... عَلَيـــــهِ والتقـــــتْ حَلَـــــقُ البِطـــــانِ

ويبدو أنَّ الشاعر يكثر من هزل الناس به وإضحاكهم عليه، فيرسم صورة كاريكاتيرية مثيرة للإسفاف والابتذال بأنّهُ شيخٌ ضروط ، جاعلاً من شدّة جلد رأسه موقعاً للضرب والصفع اللذين يقوم بهما المعاقرون للخمرة ، متخذين صفعاته إثارةً للهو والعبث ، وقد يعطي هذا التصوير الفني الساخر في شعر الشاعر استعداداً فطرياً يجعلهُ يسخر ويثير الضحك لكل ما يصف ، كقوله في وصف عود (الأنطاكي، 2021، صفحة 78):

مـــا حـــثَّ أوتـــارَهُ فـــي وَجـــهِ نائِبَـــةٍ ... إلا اســـــتفادَ بتـــــاراتٍ وأوتـــــارِ
تَحنـــــو عليـــــه بِهـــــا امٌّ تُخاطِبُـــــهُ ... ســـــرّاً فيُخْبِـــــرُ بـــــالنَّجوى بإظهـــــارِ
وَإنْ هفـــــا عَرَكَـــــتْ آذانُـــــهُ شَـــــفَقاً ... عليـــــهِ مِـــــنْ وصـــــمَةِ النُّقصـــــانِ والعـــــارِ

صورتان مترابطتان رسمهما الشاعر في مخيلته تحققت الأولى بالمغنية التي تحنو على العود فتعزف وتحرك أوتارهُ وكأنها ام حانية تحضن وليدها وتبث له حنانها، وهو يخبرها ويظهر اشتياقه لها، ومن شدّة هذا الاشتياق تسرع هذه الضربات ؛ لكن أذان العود توقفها حتى لا تنقطع أوتارهُ فتصيب العود وصمتي النقصان والعار .

وقد يجد القارئ لشعر ابن الرقعمق أنهّ بالإضافة إلى سخريته، فأنّهُ يعمد إلى التلاعب في بعض ألفاظه بما يناسب مقصوده في السخرية، ومن ذلك قول: (الأنطاكي، 2021، صفحة 78):

يَرْيَـــــــر ويَرِيَـــــــرْ يـــــــاري ... مِثْلـــــــي بِـــــــلا أزراري
وأنـــــــتَ تَعلَـــــــمُ أنّـــــــي ... شـــــــيخٌ خليـــــــعُ العِـــــــذارِ
أدْنـــــــى مجـــــــوني أنّـــــــي ... أصـــــــيحُ مثـــــــلَ الحِمـــــــارِ
آ آ أُ آ آ أُ آ آ ... باللّيـــــــــلِ لا بالنَّهـــــــــارِ
فبالصَّـــــــــفيرِ أُنـــــــــادي ... كمـــــــا يُنـــــــاغي القُمـــــــارِي
وللـــــــــدَّيوكِ أحـــــــــاكي ... ببســـــــــطةٍ واقتـــــــــدارِ
إذا صَـــــــــرَخْنَ فَقُوقُـــــــــو ... فقـــــــــوٍّ بالأســـــــــحارِ
وقـــــــــد تَنَبَّـــــــــهَ صَـــــــــحبي ... إلـــــــــى سُـــــــــلافِ العُقـــــــــارِ
والعُـــــــــودُ دَنْ دَنْ دَنْ دَنْ ... دَنَّ بالأســـــــــحارِ
مُجاوبـــــــــاً للطلَّلَّـــــــــر ... للـــــــــرِّ بالمِزمـــــــــارِ
والكـــــــــردد مطَـــــــــعَ بالطَّبـــــــــ ... ـــــــــلِ مـــــــــرهجٌ للهِـــــــــزارِ
حتَّـــــــــى إذا مـــــــــا طَرِبْنـــــــــا ... سَـــــــــحَبْتُ فَضْـــــــــلَ إزاري
ودرْتُ ثـــــــــمَّ رَقصْـــــــــنا ... رَقْصـــــــــاً كَمِثْـــــــــلِ النّـــــــــارِ

وكأن القارئ تترآءى أمامه صور من الفكاهة والسخرية رسمها الشاعر لعبثه ومجونه وحماقته لنفسه بأنّهُ شيخٌ خليع وماجن يصيحُ مثل الحمار بالليل لا بالنهار، فهو لا يخاطب البشر بلغة العقلاء؛ بل يناديهم بالصّفير مثلما يُناغي الحمام بعضهُ بعضاً، ويحاكيهم بصياح الديوك بالأسحار، ثمّ ينتقل إلى صحبه الذين ينادمهم بمعاقرة الخمرة، فيضرب على العود بأعذب أصوات المقامات ويدندن ويطرب إلى وقت السحر، ويجاوبهم بالمزمار، وينقر على الطبل ، فيرقص مع الهزار رقصاً مشبهاً ذلك بصورة النار المتأججة . وقد استطاع الشاعر في هذا المشهد الفكاهي أنْ يجمع أسرار الإبداع في دائرةٍ من الاتساع المتمكن من التعبير الفني .

وعلى الرغم من كثرة الناقدين لشعر ابن الرقعمق، إلا أنّه يلحّ على السخرية بنفسه فيبرر جهلهم له بلذته وولعه بالحماقة ، يقول في ذلك (الأنطاكي، 2021، الصفحات 91-92):

فاســـــــــمَعْ منّـــــــــي ودَعنـــــــــي ... مِـــــــــنْ كَثيـــــــــرٍ وقَليـــــــــلِ
وصـــــــــغيرٍ وكَبيـــــــــرٍ ... ودَقيـــــــــقٍ و جَليـــــــــلِ
قـــــــــدْ رَبِحْنـــــــــا بالحَماقـــــــــا ... تِ عَلَـــــــــى أهـــــــــلِ العُقـــــــــولِ
فرعـــــــــى اللهُ ويبقـــــــــى ... كـــــــــلُّ ذي عَقْـــــــــلٍ قليـــــــــلِ
مـــــا لَـــــهُ فـــــي الحُمـــــقِ والخِفْـــــ ... ـــــفَّةِ مِثْلِـــــي مـــــن عَـــــدِيلِ
فَمَتـــــى أذكَـــــرُ قـــــالُوا ... شَـــــيْخُنا طَبْـــــلُ الطُّبُـــــولِ
شَـــــيخُنا شَـــــيخٌ ولكـــــن ... لـــــيسَ بالشَّـــــيخِ النَّبيـــــلِ

ولعل الإحباط النفسي وعدم الاستقرار جعلا ابن الرقعمق شخصية قلقة وغير مهيئة لما يحيط به من أوضاع قاسية ومضطربة، وهذا ما يؤيد قوله عندما كان في مدينة تِنِّس (الحموي، 2008) كقوله: (الأنطاكي، 2021، صفحة 93):

لَيلـــي بِتَنّـــيسَ ليـــلُ الخـــائفِ العـــاني ... تَفنَـــى اللّيـــالي وَلَيلِـــي لَـــيسَ بالفـــاني
أقُـــولُ إذْ لَـــجَّ لَيلـــي فـــي تطاوِلـــهِ ... يـــا لَيْـــلُ أنْـــتَ وَطـــولَ الـــدَّهْرِ سِـــيّانِ
لَـــمْ يَكْـــفِ أنِّـــي فـــي تِنّـــيسَ مُطَّـــرِحٌ ... مُخَـــيَّمٌ بَـــيْنَ أشـــجانٍ وأحـــزانِ
حتّـــى بُليـــتُ بِفقْـــدانِ المَنـــامِ فَمـــا ... للنَّـــومِ إذ بَعُـــدُوا عَهْـــدٌ بأجفـــاني

وكأنّما الشاعر صحا من غفلة تصابيه وعبثه في الحياة إلى شكوى عن ذاتٍ حزينة ومطّرحة أفقرتها وأنهكتها كثرة الأشجان، مما خيّمت في قابع نفسه المتألمة، فأصبحت تفيض بالقلق وعدم والاستقرار وفقدان الراحة حتى في المنام، فأراد الشاعر عبر هذا التصوير الساخر أن يرسم صورة لهذا الوضع المؤلم الذي شغلهُ بالمعاصي والإثم ، فصار متروكاً في المجتمع ، عازلاً نفسه لمعاقرة الخمر ، ومعاشرة السفهاء لعلهُ يغفو عن إدراك حقيقة ذاته المنهكة والمحطّمة نفسياً، فهي –على ما يبدو–صورة ساخرة عبرت عن حالة التناقض من مواقف الحياة .

وعلى الرغم من كثرة أبيات ابن الرقعمق في السخرية ؛ إلاّ أنّهُ قد عكس كثيرٌ منها في أغراض شعره الأخرى كالمديح والوصف والغزل والفخر ، وهي لا تعدو أن تكون سخرية مصاحبة للشكوى من ازدراء الحال وضيق المتسع ، فكان يرى في الترويج لشعره ، والرغبة في منافسة شعراء عصره المعروفين ، ومن ثم نيل عطايا الممدوحين ،وسيلة إلى اضحاكهم بالسخرية من نفسه والتحامق بها ؛ لنيل عطاياهم وهباتهم (ولعلهم وجدوا فيه مادة تسلية وترويح ، وتغيراً عن جاري الشعر الذي ربما شعروا بالملل من سماعه ، فأحبوا أن يسمعوا مثل قول ابي الرقعمق ، فتمادى فيه ، وراج به عندهم) (سلام، 1995، الصفحات 131/2-132) وأنَّهُ بهذا اللهو والعبث في الحياة قد أنفق هذه الهبات على مجالس الأنس والعربدة ، كقوله : (الأنطاكي، 2021، الصفحات 57-76):

قَلبـــي لَـــك الخَيـــرُ بـــالأفراحِ مَعمـــورُ ... مستبشـــرٌ جَـــذِلُ بـــالفَتْحِ مَســـرورُ
خُذْ في هناتِكَ مِمّا قَدْ عُرِفْتَ بِهِ واحكِالعصافيرَ صي ... ممّـــا بِـــهِ أنـــتَ معـــروفٌ ومشْـــهورُ
صـــي صـــي صصـــي صصصـــي ... إذا تَجـــاوَبْنَ فـــي الصُّـــبحِ العصـــافيرُ
فَفِيـــكَ مـــا شِـــئتَ مِـــنْ حُمْـــقٍ وَمِـــنْ هَـــوَسٍ ... قَليلُـــهُ لِكَثيـــرِ الحُمْـــقِ إكســـيرُ
كَـــمْ رامَ إدراكـــهِ قَـــوْمٌ فـــأعجَزَهُمْ ... وكيـــفَ يُـــدْرَكُ مـــا فِيـــهِ قنـــاطيرُ
لا تُنْكِـــرَنَّ حَماقَـــاتي بِهـــا ... لِـــواءَ حُمْقِـــي فـــي الآفـــاقِ مَنْشـــورُ

فقد صدّر ابن الرقعمق مقدمة قصيدته المدحية بهذا المشهد الفكاهي الساخر الذي تجاوز العشرة أبيات ، حكى فيه للممدوح عن شكوته من العوز ، وشظف العيش ، وبأنّهُ لا يملك سوى الهوس وكثرة الحمق مما جعلهُ حاملاً لواءهُ في الآفاق ، ومعروفاً به ، ولا يطلب شيئاً من صاحبٍ ولا خليل ، ثُم يصرح بأنَّ تحامقه المكثر هذا ليس عيباً في صفاته؛ بل يدلل على أنّ حضورهُ في مكانٍ ما سوف يطرب ويأنس به الجميع ؛ إلا أنّهُ لا يرى منهم سوى الضرب المبرح على الرأس والعنق المسبب للتوريم والاحمرار من كثرة المزاح، في قوله: (الأنطاكي، 2021، صفحة 67) :

لا تُنكِـــــــرَنَّ حَماقـــــــاتي لأنَّ بِهـــــــا ... لـــــواءَ حُمقـــــي فـــــي الآفـــــاقِ منْشـــــورُ
ولَســـــتُ أبغـــــي بِهـــــا خِـــــلاً ولا بـــــدلاً ... هيهـــــاتَ غَيـــــري بِتَـــــركِ الحُمـــــقِ مَعـــــذورُ
لا عيـــــبَ فـــــيَّ سِـــــوى إنِّـــــي إذا طَرِبُـــــوا ... وقـــــد حَضَـــــرْتُ يُـــــرى فـــــي الـــــرأسِ تفجيـــــرُ
والأخـــــدعانِ فَمـــــا زالا يُـــــرَى بِهمـــــا ... لكَثْـــــرَةِ المَـــــزحِ تـــــوريمٌ وتَحميـــــرُ
وذا الفِعـــــالِ مَـــــعَ الإعـــــراضِ مُطَّـــــرِدٌ ... صَـــــفعٌ ونَقـــــعٌ وتيســـــيرٌ وتعســـــيرُ
فـــــذا وذاكَ وهـــــذا ثُـــــمَّ ذاكَ وذا ... كـــــذا اللَّيـــــالي لهـــــا صَـــــفوٌ وتكـــــديرُ

واضحٌ عبر قراءة هذه الأبيات يجد القارئ تلك النفس المضطرمة المتناقضة التي أنطقها الشاعر في السخرية، ولا شك قد أسهمت تفاصيل كثيرة ومتنوعة من صوت ولون وحركة في إظهار جمالية هذا التشكيل من المشهد الفكاهي التصويري.

وعبر مغالاة الشاعر في السخرية، فقد أصبح الصفع والعبث والعربدة هي الشغل الشاغل لهُ عن قضايا حياته الأساس، فلم يرفْ قلبه إلى امرأة قد شغفها حُبّاً ، ولم تكد امرأة أن تلتفت إلى رجل مثل ابن الرقعمق المبتذل حياءً ، والموكوس عقلاً ؛ مما ولد لديه شعوراً بالإطراح والقلق ،كقوله مفتخراً بذلك (الأنطاكي، 2021، صفحة 54):

كُفِّـــــي مَلامَـــــكِ يـــــا ذا المَلامـــــاتِ ... فَمـــــا أُريـــــدُ بَـــــديلاً بالرِّقاعـــــاتِ
كـــــأنّني وجُنُـــــودُ الصَّـــــفعِ تتبَعُنـــــي ... وَقَـــــد تَولَّـــــتْ مَزامِيـــــرُ الرَّطانـــــاتِ
قِسّـــــيسُ دَيْـــــرٍ تـــــلا مِزمـــــارَهُ سِـــــحْرَاً ... عَلـــــى القَـــــوسِ بِتَرجيـــــعٍ وَرَنّـــــاتِ
وقـــــدْ مَجِنْـــــتُ وعَلّمْـــــتُ المُجُـــــونَ فَمـــــا ... أدّعِـــــي بِشَـــــيءٍ سِـــــوى رَبِّ المَجانـــــاتِ
وذاكَ أنِّـــــي رَأيـــــتُ العَقْـــــلَ مُطَّرَحـــــاً ... فَجِئـــــتُ أهْـــــلَ زَمـــــاني بالحماقـــــاتِ

فجعل الشاعر تصويرهُ الساخر بنفسه في إطار تجاربه الفاشلة، فرسم لنفسه صورة ساخرة وفاقدة للثقة، وغارقة في المجون واللهو، وطاعة الشيطان، مما قادهُ إلى التذمر وشكوى الحال، والخوف من الزمن الغادر، حتى عندما يكون متغزلاً، كقوله : (الأنطاكي، 2021، صفحة 111):

أظـــــنُّ ودادَهـــــا مِـــــنْ غيـــــرِ نيَّـــــة ... وَهَـــــل هـــــي فِيـــــهِ إلاّ مُدَّعيَّـــــهْ
فتـــــاةٌ لا تَمَـــــلُّ عـــــذابَ قَلْبـــــي ... ولا تُخَلِّيـــــه وَقْتـــــاً مِـــــنْ أذيَّـــــهْ
ولا ذنـــــبٌ لَـــــهُ إلا التَّـــــوافي ... لِمَـــــنْ فـــــي الحُـــــبِّ لَيْسَـــــتْ بـــــالوفيَّ
ويَعجبنـــــي التَمَنُّـــــعُ والتّشـــــاجي ... مِـــــنِ الخَـــــودِ المُمَنّعـــــةِ الشَّـــــجيهْ
فَـــــوا أسَـــــفاً علـــــى حُـــــرٍّ يُعـــــزِّي ... أخـــــا رُزْءٍ علـــــى عِظَـــــمِ الرَّزيـــــهْ

فالشاعر يتوقع حُبِّ المحبوبة له ؛ بل يجدها مدعية في أحايين كثيرة ، فهي فتاةٌ ليست وفية ومُؤذية لهُ ، ولكنهُ يرجع ويقول ربما تكون هذه المحبوبة متمنعة ومعترضة ، فيعجبه تمنعها واعتراضها في الحبِّ لعفّتها ، فهو متأرجح بين حُبّها وأذيتها في الصّد عنهُ ؛ لذلك هو متأسف على عظم الرزية ، فالصورة الساخرة التي رسمها الشاعر في غزله تنمُّ عن نفسه المنهكة والمضطربة التي أتعبتها شِقوة الحياة والتي ملأها بحماقته وسخريته اللاذعة ، فجعلته يفقد ثقته بكثير من النساء . ويجد القارئ لشعر ابن الرقعمق في الهجاء لا يخرج عن طبيعة السخرية والحماقة اللتين حمل لواءهما في الآفاق، وهو في هجائه يُكيل الشتائم والصفات الحسّية من غير تعرضه لنسب أو قبيلة كالذي أُلف عمّا قُرأ في قصائد الهجاء العربية، كقوله في هجاء صديق لهُ (الأنطاكي، 2021، صفحة 88):

لِـــــي صَـــــديقٌ يُحـــــبُّ قـــــولي وشَـــــدوي ... وَلَـــــهُ عِنْـــــدَ ذاكَ وَجـــــهٌ صَـــــفيقْ
كُلّمـــــا قُلْـــــتُ ، قـــــالَ: أحسَـــــنتَ زِدنـــــي ... و بأحسَـــــنْتَ لا يُبـــــاعُ الـــــدَّقيق

فالشاعر يسخر من وجه صديقه فيجعلهُ قبيحاً، فكلّما قال الشاعر قولاً، يقول له صديقه: أحسنت ، وأحسنت لا يشتري فيها حتى الدقيق ، وقد يوظف ابن الرقعمق ألفاظاً في منتهى البذاءة والسخرية التي تخرج عن حدود الذوق والأدب ، كقوله في السخرية من نفسه (الأنطاكي، 2021، صفحة 98):

وَمَـــــنْ مِـــــنْ شِـــــدّةِ الصّـــــفعِ ... لَـــــهُ رأسٌ بِـــــلا شَـــــعْرِ
وَمِـــــنْ هامَتُـــــهُ أقـــــوَى ... عَلـــــى الصّـــــفعِ مِـــــنَ الصَّـــــخرِ

وَمِـــــنْ يضْـــــرُطُ فـــــي الـــــذّقنِ بِـــــلا كيـــــلٍ ولا حِـــــرْزِ
وَمَـــــنْ يَنْتِـــــفُ بالـــــدَّبقِ سُـــــبالاتِ بَنِـــــي البَظْـــــرِ
ولكِنـــــي لا كُنْـــــتُ لِمـــــا فـــــيَّ مِـــــنَ الكِبَـــــرِ
إذا أمرانـــــيَ الصَّـــــفعُ تجشّـــــأتُ مِـــــنَ الـــــدُّبْرِ
وهيهـــــاتَ تَـــــرى صَـــــفعاً لِغَيْـــــرِي أبـــــداً يُمْـــــرِي

فالتوصيف الفني الساخر الذي وصل إليه الشاعر بأن يجعل نفسه شخصية شوهاء يعتريها الخرق والحمق معاً، فقد بدا رأسهُ بلا شعر، وهامتهُ أقوى من الصخر من شدّة الضرب والصفع، ومن شدة الاستهزاء به فذقنهُ يُضرطُ فيه الناس، وينتفون الشّعرَ الذي على شفته، وإذا أرادوا المرور من قربهِ تحاذفوه صفعاً وضرباً مُبرحاً ، فلا يجد ابن الرقعمق غير أن يوليهم دبره ليتوقى أذيتهم، فالشاعر قد استوحى من خياله صورة فنية ساخرة جداً على سبيل إضحاك السامع وتسليته بهذا المنظر. وقولهُ أيضاً في هاجيًا (الأنطاكي، 2021، صفحة 42):

وَمَـــــنْ هـــــارونُ فـــــي النَّـــــاسِ أنـــــا أصْـــــفَعُ هارونَـــــا

فجعل الشاعر حالة الصفع مثار هجائه لابن هارون الأكثمي. أما في موضوع الفخر فقد نظم فيه ابن الرقعمق على غير ما يألفه القارئ عند الشعراء السابقين ، الذين يفخرون بالأمجاد الشامخة ، والأنساب العريقة ، ومآثرهم الخالدة ؛ إلا أنَّ ابن الرقعمق يفتخر بمجونه ، وعبثه ، ولهوه ، وتحامقه ،وسخريته من نفسه أيضاً كقوله: (الأنطاكي، 2021، صفحة 47):

ولَـــــم أكســـــب الحُمـــــق لكنّنـــــي خُلِقْـــــتُ رقيعـــــاً كمـــــا قَـــــد تَـــــرى
لَقـــــد فُقْـــــتُ فيـــــه كمـــــا الفارسيـــــْ ـــــيُ فـــــي الرَّمـــــي فـــــاقَ جميـــــعَ الـــــوَرَى
كـــــأنَّ البنـــــادِقَ طَـــــوعٌ لَـــــهُ فهُـــــنَّ يُصِـــــبْنَ لَـــــهُ مـــــا اشـــــتهى

فالشاعر يفتخر بحماقته بصورة لاذعة، يبيّن فيها أنهُ لم يكتسب هذا الحمق بإرادته ؛ بل أنّهُ خُلِق رقيعاً ، وقد فاق بمستوى هذه الرقاعة رمية الفارس التي أصبحت القنوات الجوفاء طوعةً لهُ لتلقي سهامه الرامية الأمر الذي جعله يفوق جميع الرماة . وقد يصل فخره إلى مرتبة أقصى من ذلك بأنّهُ قد ولِد في الحمق كما الفاضل ولِد في الفضل وهما متساويان في عراقة النسب والمجد التليد وكأنّما يعطي إشارة عبر صورته الساخرة أنهُ ورث الحمق عن ابيه وأجدادهِ، في قوله (الأنطاكي، 2021، صفحة 45):

أنجبـــــتُ فـــــي الحُمـــــقِ وهَـــــل فاضِـــــلٌ كنـــــاقِصٍ فـــــي الحُمـــــقِ لَـــــم يُنجَـــــبِ
لَـــــو عَلِمُـــــوا مـــــا لِـــــيَ مِـــــنْ لَـــــذّةٍ لَـــــم ألـــــحَ فـــــي الحُمْـــــقِ وَلَـــــم أعْتِـــــبِ
أعَتَبَنـــــي الـــــدَّهرُ وَلَـــــولا الّـــــذي عَـــــمَّ الـــــوَرَى بالبَـــــذْلِ لَـــــم يُعْتِّـــــبِ
لَمـــــا رأى الآمـــــالَ مَصـــــرُوفةً إلـــــى السَّـــــدِيدِ ابـــــن ابـــــي الطّيّـــــبِ
فـــــارَقَني مِـــــنْ شَـــــرّهِ صـــــاحِبٌ كـــــانَ لَعَمْـــــري شَـــــرُّ مُستَصْـــــحِبِ

فالشاعر يقيم مفارقته الساخرة عبر افتخاره بأنّهُ يرى كما الأحمق وُلِد إلى الحياة أحمقاً فورثه من أسلافهِ، كذلك الإنسان الفاضل يكتسب فضائله من أمجادهِ، ثمَّ يعطي الشاعر مسوغات لملازمة حمقه وإلحاحهِ فيه ، فراقه للصاحب والصديق وتعرّضه للترك والإطراح ، فأراد الشاعر أن يعكس في صورته شعوراً بالغربة والانفصال عن الآخرين ، وهي ظاهرة اتسم بها أغلب شعره في الحماقة مدركاً بأنَّ لصورته جمالاً ومتعةً وهو يرسمها بلذّة الحماقة وأن لم يكن متفوقاً في الشعر كشعراء عصره.

يتضح مما سبق أنَّ الشاعر ابن الرقعمق امتلك صفة السخرية المؤدية إلى التحامق مما أحرز شعوراً فردياً متفوقاً متخذاً مواقف هذا الشعور عبر نظرته المتحررة من الناس والمجتمع ، ومن حياته ورؤاه الذاتية وإرهاصاته المختلفة عن رؤية الآخر إلى هذا الفن ؛ مما أدّى إلى اتساع مضمون السخرية ، وتعدد أساليبها ودلالاتها في أغراض شعره .

الخاتمة .

بعد الاطلاع على شعر ابن الرقعمق يمكن الوصول إلى ما يأتي :

إنَّ السخرية فن أدبي مميز ظهر في أدب مرحلة العصر العباسي، وإنْ كان الهجاء فناً معروفاً ومرتبطاً مع السخرية ارتباطاً وثيقاً إلا في بعض القضايا يفرق بينهما العارف لهذين الموضوعين ، فالأدب الساخر يستمد أهميتهُ من داخل الخطاب الشعري ؛ لأنّهُ ظاهرة فنية تقوم على علائق لغوية وعلامات وأقوال وألفاظ مكررة قد تتزاوج فيما بينها لتؤدي معنًى ظاهراً ، ومعنى آخر يقصدهُ الشاعر، وهذا ما عكسهُ ابن الرقعمق في شعره ، في حين ينظر إلى كثير من الأمور بطريقة واضحة وسطحية معتمداً أسالِيباً بارعة تستسيغها عقول الناس ، فتدغدغ مشاعرهم ، وتلهو بطبيعتهم إذ وصل فيها أن يجرب سخريته وحماقته على نفسه ، فضلاً عن أنّهُ استمد مادة صوره الفنية الساخرة الجزئية من واقع مجتمعه ومسرح أحداثه، مصوراً هذا الواقع بما فيه من فقرٍ وجوعٍ وعوز ، ومنفساً عبر شعره عمّا يسري بنفسه من مشاعر بأسلوب متهكم كاريكاتيري ساخر، الأمر الذي يجعلهُ أن يجتر آماله وآلامه ، فيشكو ويتألم تارةً ،ويُنفس عن نفسه بالنكتة والفكاهة اللطيفة والنقدة العابرة واللاذعة تارةً أخرى، ومصدراً في أسلوبه طاقة ذهنية ساخرة عبّرت عن روح كوميدية مرحة ضاحكة، تفنن فيها بتضخيم العيوب، وتجسيد النقائص،ودفع السآمة والضجر، وإبعاد النفس عن مشاغل الحياة ،وإظهار عيوب المجتمع، والتنفيس عما تعانيه ذاته من حالات الإحباط وعدم التوازن النفسي، وهو ما يجعلهُ مضطرباً هازئاً بكل من حوله، وهذا أمر محتوم لأنَّه شغل نفسه بالمعاصي والآثام،حتى كأنّهُ أصبح منبوذاً من المجتمع ، عازلاً نفسه ، ومعاقراً خمرتهُ ، ومعاشراً أراذل مجتمعه ، لعلهُ يلهى عن استشعار الحقيقة المرّة التي اتعبتهُ وأرهقتهُ من داخل نفسه .

المراجع

ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين. (1994). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

ابن العديم، كمال الدين. (1996). *بُغية الطلب في تاريخ حلب*. (سهيل زكار، المحرر) دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (1996). *لسان العرب*. القاهرة: دار المعارف.

أدونيس، (1977). *مقدمة الشعر العربي*. عكا: دار الأسوار.

الأنطاكي، أحمد بن محمد. (2021). *ديوان ابي الرقعمق*. (محمد المهداوي، المحرر)

الثعالبي، ابو منصور. (1983). *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر* (المجلد 1). (مفيد محمد قميحة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوزي، ابو بكر بن قيّم. (1983). *روضة المحبين ونزهة المشتاقين* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الحموي، ياقوت. (2008). *معجم البلدان*. (محمد عبد الرحمن المرعشلي، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الذهبي، شمس الدين. (2005). *تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. (مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

سلام، محمد زغلول. (1995). *الأدب في العصر الفاطمي*. الاسكندرية: منشأة المعارف.

السيوطي، جلال الدين. (1998). *المزهر في اللغة وعلومها*. (محمد أحمد جاد المولى إبراهيم البجاوي، محمد أبو الفضل، و علي محمد، المحررون) القاهرة: مكتبة دار التراث.

الصنعاني، ضياء الدين. (1999). *نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر* (المجلد 1). (كامل الجبوري، المحرر) بيروت: دار المؤرخ العربي.

ضيف، شوقي. (1990). *تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) الشام* (المجلد 4). القاهرة: دار المعارف.

عكاوي، سوزان. (1994). *السخرية في مسرح أنطون غندور*. المؤسسة الحديثة للكتاب.

عيسى، عبد الخالق عبدالله عوده. (2003). *السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين*: أطروحة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا. عمان: الجامعة الأردنية.

مجدي، وهبة ، و المهندس كامل. (1979). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. بيروت.

مفتاح، محمد. (1997). *مدخل إلى قراءة النص الشعري*. مجلة فصول، *16*(1).

المقريزي، تقي الدين. (1967). *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا:* المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

References

Ibn Khalkan, Abu Abbas Shams al-Din. (1994). *Deaths of notables and news of the sons of the time*. (Ihsan Abbas, editor) Beirut: Dar Sader.

Ibn Al-Adim, Kamal Al-Din. (1996). *In order to request the history of Aleppo*. (Suhail Zakkar, editor) Dar Al-Fikr.

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali (1996). *Arabes Tong. Cairo*: Dar Al-Maaref.

Adonis, (1977). *Introduction to Arabic poetry*. Akka: Dar Al-Aswar.

Al-Antaki, Ahmed bin Muhammad. (2021). *Diwan of Abu Al-Raqqam*. (Mohamed El Mahdawi, editor)

Al-Thaalabi, Abu Mansour. (1983). *Orphan of time in the virtues of the people of the era* (Volume 1). (Mufid Muhammad Qamiha, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Jawzi, Abu Bakr bin Qayyim. (1983). *The Garden of Lovers and the Excursion of the Missing* (Volume 1). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Hamawi, Yaqut. (2008). *Dictionary of countries*. (Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, editor) Beirut: Arab Heritage Revival House.

Al-Dhahabi, Shams Al-Din. (2005). *The history of Islam and the deaths of celebrities and figures*. (Mustafa Abdel Qader Atta, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Hello, Muhammad Zaghloul. (1995). *Literature in the Fatimid era. Alexandria:* Ma'arif facility.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1998). *Al-Mizhar in Language and its Sciences*. (Muhammad Ahmed Gad Al-Mawla Ibrahim Al-Bajjawi, Muhammad Abu Al-Fadl, and Ali Muhammad, editors) Cairo: Dar Al-Turath Library.

Al-Sanaani, Diaa Al-Din. (1999). *The Breeze of Magic with Remembrance of Shiism and Poetry* (Volume 1). (Kamel Al-Jubouri, editor) Beirut: Arab Historian House.

Guest, Shawqi. (1990). *History of Arabic Literature* (The Era of States and Emirates) The Levant (Volume 4). Cairo: Dar Al-Maaref.

Akkawi, Susan. (1994). S*arcasm in Antoun Ghandour's theatre*. Modern Book Foundation.

Issa, Abdul Khaleq Abdullah Odeh. (2003). *Sarcasm in Abbasid poetry in the second and third centuries AH: Doctoral dissertation*, College of Graduate Studies. Amman: University of Jordan.

Magdy, Heba, and Engineer Kamel. (1979). *A dictionary of Arabic terms in language and literature*. Beirut.

Moftah, Muhammad. (1997). *Introduction to reading poetic text. Fusoul Magazine*, 16.(1)

Al-Maqrizi, Taqi al-Din. (1967). *Hanafi preaching the news of the successor Fatimid imams*: The Supreme Council for Islamic Affairs.